ابنتى . . . !

بقلم عبد الحق شرف الدين

المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية

لعمرى لقد أمسى فؤادى مروّعا ... وأصبحت بعد الثكل حيران موجعا
وعدت أليف الحزن أسوان باكيا ... على بائنٍ منى تولى وودعا
وما كنت أخشى الخطب حتى رزئته ... فأصبحت نهبا للهموم موزّعا
تصبرت قسراً واحتملت تجملا ... ولكن صبرى مذ دهيت تمنعا
وكيف ينال الصبر فاقد ولده ... أليس خليقا أن يُبن ويفزعا ؟
بلى ، قد بلوت الحزن حتى ألفته ... وما حدت عن داعى الحنان إذادعا
ثكلت « نوارا » نور الله قبرها ... وأسكنها فى جنة الخلد مربعا
فيالهف نفسى يوم لج بها الردى ... فظلت تعانى الموت حتى تربعا
ويالهف نفسى يوم شيعت نعشها ... وبى حرقة تسرى بقلبىَ والمعى
أحاط بها الآسون والداء كامن ... وآبوا حيارى ليس يلقون مفزعا
وعاد طبيب الحى ينفض كفه ... ولم ياق فيها للسلامة موضعا
وجاءت وفود القوم مابين معول ... أسيف ومضنى بالفجيعة رُوِّعا
وحال اجتماع الشمل ثكلا ولوعة ... وفرقة آباد وحزناً وموجعاً
وأمسى جَرىُّ البرق يحمل نعيها ... ويصمى قلوب الهاجعين بما نعى
عزيز علينا يانوار تباعد ... وردنا به ورد الشقاوة مترعا
عزيز علينا يانوار تفرق ... أضرّ بنا منذ البعاد وأوجعا
نقضّى الليالى فى اكتئاب وحسرة ... ونذكر عهداً لن يعود ويرجعا
ونندب زهراً قد تقصف غضا ... ونرقب نجماً لن يعود ويطلعا
أتيت مع الوسمى والكون مشرق ... وابت فأمسى ربع صفوىَ بلقعا

وما كنت أدرى أن نجمك آفل ... وشيكا، وعهدى أن يبين ويلمعا
وما كنت أدرى أن غصنك ذابل ... سريعاً، وظنى أن يميد ويونعا
لقد كنت أرجو أن تعيشى وتنعمى ... وتلقى نماء بيننا وترعرعا
ولكن موتاً لست أملك دفعه ... طواك وولى يابنية مهرعا
فكنت كبدر التم يمكث بيننا ... قليلا ويعروه المحاق مودعا
وكنت كنور الروض إبان فصله ... يظل نضيراً ثم يمحل مسرعا
دعتك شعوب فاستجبت نداءها ... وسامتك نزعا ما أشق وأفظعا
وغالتك منا ماتريم وما تنى ... وأولتك منها بعد ذا الأين مصرعا
وألفيت بعد الحسن والحى والسنا ... صريعة موت قد سطا بك مفزعا
فيالك من زور تربص جاهدا ... بتأريث حزن خب فيه وأوضعا
ويالك من زور تشبث ملحفا ... بحبة قلب ماعداها وما رعى
ويالك من زور ثقيل، وطارق ... وبيل، وضيف ما أضل وأبشعا

***

أقول وقد أضنى بعادك إخوة ... صغاراً وثكلى ماتكفكف مدمعا
وحيدتها زفت إلى القبر عاجلا ... فباتت بهم ما أحر وأوجعا
أيا ربّ رفقاً بالحزان ورحمة ... وثوباً إلى الصبر الجميل ومرجعا
فليس لنا من دون حكمك موئل ... وليس لنا أن نستزل ونجزعا
ولكنما الأولاد منا، وثكلهم ... أليم، وشأن الحى أن يتروعا
فنلقى التياعاً للمصائب مجريا ... دموع عيون لن تقر وتهجعا
ففى رحمة الله العلى وعفوه ... تلاقين براً دائما وتمتعا
وتلقين رباً للخلائق بارئا ... يميت ويحيي من يشاء منوعا
عليك سلام الله قد كنت مُنية ... وقد كنت آمال المكارم أجمعا

عبد الحق شرف الدين